# مافيا الأسد وألف باء الوفاء للحلفاء (6): المُتاجرة بالقضيّة الفلسطينيّة






إعداد فينيق ترجمة

**10.02.2021**

# حافظ الأسد وأبو عمار .. عداء تاريخي وتنافس دام لأكثر من 30 عاماً على قيادة القضية

**أراد حافظ الأسد، الإستحواذ على القضية الفلسطينة، طمعاً بالزعامة العربية، وحاول التخلص من ياسر عرفات مراراً، حيث أنه سجنه وحاول اغتـيـاله غير مرّة.**

**لينـشب بينهما عداء تاريخي وتنافس على قيادة القضية، استمر لأكثر من 30 عاماً.**

**اللواء الأسد ... بوابة فلسطين**

**بعد وصول حزب البعث إلى السلطة في سوريا، متمثلاً باللجنة العسكرية التي قادت الإنقلاب سنة 1963، تبنت القيادة البعثية الجديدة وعلى رأسها صلاح جديد.**

**المقاومة الفدائية الفلسطينية وحركة فتح الوليدة التي كانت تبحث عن منطقة ارتكاز للبدء بالكفاح المسـلح.**

**اتفق الطرفان على تسهيلات للفدائيين إضافة لاشراف الجيش السوري على تدريب الكوادر الفلسطينة، وفي إطار الإعداد الفتحاوي للمعـركة وتحديداً سنة 1964 كان ياسر عرفات يعمل على نقل شحنة متـفجـرات من لبنان نحو الأردن عبر الأراضي السورية**

**خلال الطريق تعرض عرفات للايقاف والإعتـقال من قبل المخابرات العسكرية السوية، بحجة أنه يسعى للقيام بأعمال تخـريبية في سوريا**

**تفاجئ عرفات من تلك الحادثة فهو يعمل بعلم النظام البعثي الجديد، وبالبحث عن مصدر الأوامر باعتـقاله تبين أن أمر الإعتـقال صدر عن قائد القوات الجوية في الجيش السوري اللواء حافظ علي سليمان ابراهيم الذي عرف لاحقاً بحافظ الأسد والذي كان يتمع بسلطة كبيرة داخل أجهزة الاستخبارات السورية.**

**أُطلـق سراح عرفات بعد ساعات من اعتـقاله إلا أن رسالة الأسد وصلت لعرفات وباقي التشكيلات الفلسطينية، "أنه من أراد التنسيق مع القيادة السورية فعليه المرور عبر بوابة اللواء الأسد دون سواه".**

**لتكون تلك الحادثة فاتحة العداء بين الرجلين تصاعدت بترقي حافظ الأسد ووصله لوزارة الدفاع، ثم تلاها محاولة اغتـيال عرفات سنة 1966 خلال اجتماع له مع أحمد جبريل بدمشق.**

**إلا أن العملية فشـلت لغياب عرفات عن الإجتماع بعد معرفته بمخطط الإغتـيال**

**الخذلان في أيلول الأسود**

**خلال عامي 1966 و حاولة القيادة البعثية السورية الهيمنة على منظمة التحرير الفلسطيني لإبقاءها ضمن السيـطرة، إلا أن المنظمة استطاعت التملص من تلك المحاولات والحفاظ على كينونتها واستقلالها**

**لتكون الضربة التالية لحافظ الأسد خلال أحداث أيلول الأسود، سنة 1970 اندلعت معارك دامية بين الجيش الأردني ومنظمة التحرير التي سيطرت على بعض المدن الأردنية كالزرقاء وأربد.**

**وبات تأخذ المنظمة شكل الدولة داخل الدولة وهو ما رفضة الملك الاردني الحسين بن طلال وقتذاك، وبدأت عمليات الجيش الأردني ضد منظمة التحرير.**

**خلال تلك الأحداث تمكن الجيش الاردني من فرض سيطرته على مدينة الزرقاء وتوجه نحو اربد القريبة من الحدود السورية.**

**فقرر صلاح جديد دخول المعركة واقتحم الحدود الأردنية لحماية الفدائيين إلا أنه مني بخسـائر فادحة على يد الجيش الأردني نتيجة رفض حافظ الأسد الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع دخول المعركة وتغطيتها بسـلاح الجو.**

**ما أسهم لاحقاً بانهاء الوجود الفلسطيني في الأردن وهروب عرفات نحو القاهرة**

**انتـزاع القضية**

**عقب أحداث أيلول الأسود خرجت منظمة التحرير من الأردن نحو لبنان، ليصل حافظ الأسد للسلطة في سوريا بعد تنفيذ انقلابه سنة 1970**

**الأسد لم يكن ليرضى إلا أن يكون لاعباً إقليما في المعادلة السياسة، فكان لابد من تطويع قضية فلسطين لتكون وسيلة لتحقيق هدفه ولابد من إزاحة عرفات عن الواجهة.**

**لتبدأ عدة محاولات منه للسيـطرة على القضية وانتـزاعها من منظمة التحرير وعلى رأسها عرفات الذي فهم لعبة الأسد واستمر بالمناورة معه لأكثر من 30 عاماً فكان يرى في الأسد عدواً لا بد من مصادقته.**

**لتكون الحرب الأهلية في لبنان منذ 1975 وحتى 1982 ملعب حافظ الذي حاول عبر تدخلاته بدعم اطراف الصـراع وتطبيق سياسة لا غالب ولا مغلوب رغبة منه في اضغاف الجميع للسيـطرة على كل شيئ لاحقاً.**

**خرج عرفات من لبنان و وزع قواته بين العديد من البلدان العربية وكان لابد أن تكون سوريا وجهة البعض منهم.**

**ففي عام 1983 كان عرفات في دمشق فبث التلفزيون السوري إعلاناً رسميا يعتبر عرفات شخصاً غير مرغوب به في دمشق وعليه أن يغادر الأراضي السورية خلال 24 ساعة.**

**شارون العرب**

**شارون العرب قد حاصرنا في البر وشارون اليهود حاصرنا في البحر، عبارة عرفات الشهيرة والتي يصف فيها الأسد بشارون العرب، لإجـرامه ضد الفلسطينين في لبنان ففي عام 1983**

**جرت عملية السلام التي قادها الرئيس الأمريكي ريغان فاستغل الأسد تلك العملية ووصف عرفات بالخيـانة نتج عنه انشـقاق أحمد جبريل**

**ظن الأسد أنه قد نجح في شق الصف الفلسطنيني حول عرفات، فبدأ بالعمل على تصـفية قوة ابو عمار فشن حملة عسكرية على مخيمي شاتيلا و برج البراجنة بلبنان.**

**إلا أن عرفات وجه له الصفعة الأكبر بظهوره المفاجئ بدمشق و تفاوضه مع المتمـردين، مادفع حافظ الأسد للتخطيط إلى محاولة إغتـيال جديدة أثناء توجهه عرفات إلى طرابلس.**

**إلا أن عرفات كان أصر على الصمود، ولم يذهب في الموكب المسافر بل ظهر في مؤتمر الأدباء العرب بدمشق مرة أخرى**

**ليعود الصـراع من جديد إلى مخيمات لبنان والتي راح ضحـية مئات الفلسطينين ولم ينتهي إلا بعد اندلاع الانتفاضة الأولى سنة 1988**

**آل الأسد يكررون غاياتهم**

**في السنوات اللاحقة، تغيرت معادلة النظام الدولي بانهيار الاتحاد السوفيتي وساد انطباع عالمي بأن العالم يدخل حقبة التسويات الكبرى**

**فاندفع النظام السوري يلحق بقطار التسويات خشية التخلف عن فرصه، فشارك في مؤتمر مدريد عام 1991 دون تحقيق أي تقدم على المسار السوري-الإسرائيلي، بعكس المسار الفلسطيني-الإسرائيلي الذي تطور بشكل سرّي مُفرزًا في النهاية تسوية أوسلو.**

**ومن ثم أعلن عن تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية، وعودتها إلى الداخل الفلسطيني في غزة والضفة الغربية بصلاحيات حكم ذاتي محدود**

**ما فرض على نظام حافظ الكف عن محاولاته الطويلة لانتـزاع صفة الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، لكنه لم يتوقف عن مهاجمة أسلو وما تمخض عنه من قررات**

**بشار سرّ أبيه**

**مع تجميد منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية لخيار المقاومة برز دور تنظيمات المقاومة الإسلامية وعلى رأسها حركة حماس.**

**لم يتردد نظام الإبن بتبني شعارات المقاومة وقضية فلسطين على نهج أبيه، فشرع بإستقبال ودعم قيادات حماس.**

**ليكتشف الجميع بعد سنوات خبث الولد وأبيه، ومحاولات آل الأسد لتمرير مشاريعهم وتهجين السوريين على أبدية حكمهم عبر تبني شعارات المقاومة المزيفة.**

# الفلسطينيون ونظام الأسد.. للتاريخ ولكي تعرف الأجيال

**عدلي صادق**

**30يونيو 2014**

**يعجب واحدنا، حين يلاحظ ميلاً من أي طرف عربي، إلى تأييد نظام بشار الأسد في سورية. لكن بعض عاطفة الميل، عندما تتبدّى من فلسطينيين، فصائليين أو رسميين أو مثقفين؛ ترفع العجب إلى سوية الاندهاش، لأن هذا النظام لم يدع شيئاً لم يفعله، لكي لا تكون هناك كيانية فلسطينية، ولكي لا تكون هناك حرب تحريرية، أو عملية تسوية تستند إلى مواضع القوة العربية وزخمها. وفي سياقه هذا، لم يتورّع عن القتل، ولا عن التحالف مع قوى صديقة لإسرائيل، ولا عن ممارسة الدسيسة ضد حركة التحرر الفلسطينية في العالم العربي، ولا عن شق المؤسسات الفلسطينية لمنظمة التحرير، لكي يصبح جيش التحرير جيشين، واحد له والآخر لفلسطين، ويصبح الاتحاد العام للكتاب والصحافيين اثنين، واحد له والآخر لفلسطين، وهكذا اتحادات الفلاحين والمهندسين والأطباء وسائر الاتحادات التي تمثل، مجتمعةً، القاعدة الشعبية النوعية لمنظمة التحرير الفلسطينية. كذلك يكاد لم يفلت ناشط فلسطيني، من القادة والساسة والكوادر العسكرية والنقابية، من السجن السوري، مادام يعمل في فضاء النفوذ السوري. ومن المفارقات الطريفة أن هذا النظام لم يكتف بمن يوجدون من الفلسطينيين، في مساحات نفوذه، وإنما أعدّ قوائم انتظار، في مطار دمشق، لمن لا يُتوقع وصولهم. وحدث، مرة، أن المرحوم فيصل الحسيني كان متجهاً إلى موسكو، على متن إحدى طائرات الخطوط الجوية، ففوجىء بأن هناك ليلة توقف وانتظار في مطار دمشق، فأرسل له مكتب "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" مندوبه لدى سلطات المطار، لكي يؤمن له مبيت ليلته، ليُفاجأ المندوب الفلسطيني بأن هناك أمر إلقاء قبض على فيصل الحسيني في أي وقت تطأ فيه قدماه أرضاً سورية، ما اضطر مندوب "الجبهة" إلى مهاتفة المرحوم جورج حبش، الذي هاتف حافظ الأسد، لكي يأذن للرجل بالرحيل على أية طائرة!**

**سجون وفظائع ووقائع**

**من المفترض ألا يكون المحيطون بأي قدر من وقائع التاريخ القريب في حاجة إلى من يذكّرهم بمحطاتٍ من صفحات العلاقة بين النظام السوري والحركة الوطنية الفلسطينية. ذلك لأن أصل العلة، في جفاء بعضهم ثورة الشعب السوري ضد نظامٍ، لا نظير له في الاستبداد والفساد، يستند إلى فرضية خاطئة، هي أن هناك طرفاً يصح أن يعتبروه أبشع وأقبح من النظام السوري، وهذا غير صحيح، على الرغم من كل دسائس "يوتيوب" ومقاطعها، وعلى الرغم من كل وقائع الشطط في ممارسات متطرفين من المعارضة. فكل هؤلاء، مهما فعلوا مجتمعين، لن يكونوا قادرين على إنتاج أنموذج يحاكي جهنم التي ظل يمثلها سجن تدمر على مدى ثلث قرنٍ وأكثر. بل إن مشاعر أكثر المتطرفين جنوناً لن تقوى على ممارسة تعذيبٍ يوميّ لإنسان، على امتداد عشرين عاماً متصلة، لمجرد كونه بعثياً من أتباع الحزب في بغداد، أو من الإخوان المسلمين الشباب، أو شيوعياً من جماعة رياض الترك، أو ناصرياً من حزب"الاتحاد الاشتراكي العربي الديموقراطي" الذي يتزعمه حسن عبد العظيم، أو من غير هؤلاء الذين يمثلون كل ألوان الطيف السياسي في سورية.**

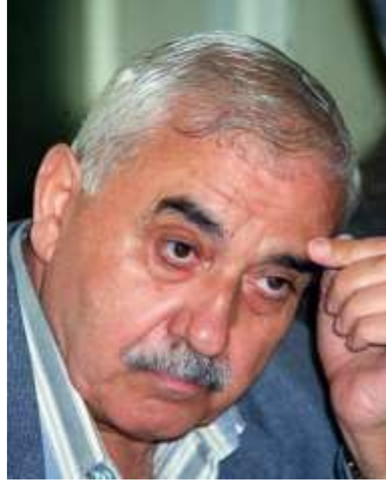


**ياسر عرفات في بيروت 1982**

**فعلى أي أساسٍ يُمتدح بشار الأسد فلسطينياً، ولأية غاية؟ ربما يكون الجواب مغرقاً في السذاجة، واختبرته الأحداث، وأكدت أنه فاقد للمعنى، وهو أن الهدف حماية الفلسطينيين في سورية. هنا، وبصرف النظر عن الخلل المبدئي، في تلفيق التعليل، وهو أن يرى عربي أن استثناء الفلسطينيين من مقتلة إخوتهم السوريين، فيه شفاء ونجاة لفلسطين. لندع هذا الخلل جانباً، ولنتأمل ما حدث للفلسطينيين في مخيم اليرموك، وفي السجون التي قتلوا فيها تحت سياط الجلادين. فعلى الرغم من مأساة الفلسطينيين المهولة، كان بعضهم ينسب الفظائع، أو أسبابها، حتى عندما يكون مرئياً ومعلوماً أن جيش الأسد هو الذي اقترفها؛ إلى مجرد وجود معارضةٍ مسلحةٍ في المخيم الواقع في قلب مساحة الصراع. فمن خلال الاتصال مع أي فلسطيني مشردٍ من مخيم اليرموك وسواه، يسمع الحقيقة، بينما المتعاطفون مع النظام، من الفلسطينيين، يؤيدون رواية النظام، وهم يعرفون أنه يتنفس كذباً في كل شيء.**

**حافظ الأسد واستهداف عرفات**

**حبذا لو توفر الدارسون على البحث في حقائق الرحلة الطويلة لياسر عرفات، ربان السفينة الكنعانية، والتقوا شهوداً ما زال كثيرون منهم أحياء يُرزقون. على هذا الصعيد، يجعلنا المقتضى السياسي والوطني الراهن في حاجة إلى أخذ تجربتين مهمتين للشهيد عرفات، أولاهما تجربته في الثورة المسلحة، والثانية تجربته مع العملية السلمية، ولماذا وكيف تعمد الطرف الصهيوني استهداف الرجل الذي جعل التسوية المتوازنة هدفاً استراتيجياً، علماً أن مثل هذه التسوية، في أفضل شروطها بالنسبة للفلسطينيين، ستحقق لكيان غاصب، قام على الباطل؛ شروط وجوده الآمن، وانخراطاً طبيعياً في المنطقة، وجيرة سلمية مع دولة ضحاياه، بمعايير ووقائع سفك الدم أو انتهاب الحق.**



**جورج حبش**



**فيصل الحسيني**

**من خلال البحث التفصيلي، سيرى الباحثون، بما لا يدع مجالاً للشك، أن تصنيف النظام الأسدي ياسر عرفات نسخة كربونية من تصنيف إسرائيل له. كان حافظ الاسد، حتى وفاته، يرى في ياسر عرفات "عقبة ينبغي إزالتها". وكانت تلك هي رؤية المحتلين بالحرف وبالوصف. فقبل أن يمسك حافظ الأسد بمقاليد الحكم في سورية، إثر انقلاب نوفمبر/تشرين الثاني 1970على الحزب، كان ياسر عرفات ودوره من نقاط التكاسر بين البعث ورجلٍ عسكريٍّ بعينه، قويٍّ ضمن مجموعته، هو حافظ الأسد نفسه. كانت القيادات المدنية (أطباء ومناضلون ضمن الخط اليساري من الحزب)، ومعها عسكريون ملتزمون بهذا الخط؛ تطمح إلى احتكار القضية الفلسطينية سياسياً وعقائدياً. أما حافظ الأسد، فكان يريد جعل المقاومة الفلسطينية ورقة في جيبه، تدعم خططه التكتيكية وطموحاته ودوره داخلياً وخارجياً.**

**من هنا، نشأ في سورية مبدأ الاستحواذ على الورقة الفلسطينية. ففي مناخ التماكر بين المراتب العسكرية وأفرعها، اعتقل ياسر عرفات، للمرة الأولى، بتهمة "التحضير لأعمال تخريبية"، بينما كان يفعل ذلك بموافقة رسمية. في ذلك السياق، كان ضرورياً للأسد أن يبلغ عرفات الذي تفاهم مع أحمد سويدان، أنه هو، وليس الأخير، صاحب القرار العسكري، وبالتالي، فإن ورقة "فتح" مطلوبة لجيبه هو!**

**أبو عمار، بدوره، وعلى امتداد خط زمني ملغم، تمسّك بمبدئه، وهو أن تبقى البندقية الفلسطينية، والقرار الفلسطيني تالياً، في وضعية الاستقلال التام عن جميع الأنظمة العربية، وأن تنأى الثورة الفلسطينية عن الصراعات بين هذه الأنظمة، وكذلك عن النزاعات الداخلية في كل قُطر!**

**احتاج الباحثون (وإن كانت الأرشيفات العربية مغلقة) إلى دراسة وقائع المحاولات الأولى لاغتيال ياسر عرفات. جرت محاولات سورية كثيرة لتغييب الرجل، تقول المصادر إن أولاها كانت في العام 1966، وتلك رواية مختلفة عن حكاية اعتقال قيادة "فتح" الموجودة في سورية، في نوفمبر/تشرين الثاني 1966على إثر مقتل النقيب يوسف عرابي، البعثي الذي انضم إلى "فتح" مع مجموعة ضباط، لكي يسيطروا على الحركة!**

**أوقع التمسك النظام السوري بهدف السيطرة على القرار الفلسطيني ياسر عرفات في خصومة مزمنة معه. ولم يشفع للرجل لا نضاله، ولا صفته زعيم حركة تحرر، ولا أهمية دوره الدولي والإقليمي، ولم يغفر له حتى صموده. بالعكس، كان صمود ياسر عرفات في بيروت، في 1982 سبباً في مفاقمة كراهية النظام في دمشق له. فعلى الرغم من أن إسرائيل غزت لبنان، في أثناء التزام منظمة التحرير بوقفٍ لإطلاق النار؛ إلا أن الاجتياح بالنسبة لحافظ الأسد كشف عجز سورية ليس عن نجدة الثورة الفلسطينية وحسب، وإنما عن نجدة وإطعام قطعاتها العسكرية البرية على الأراضي اللبنانية. ولم يكن أبو عمار يقصد إغاظة أحد، عندما صمد وظلَّ يتجول في بيروت تحت القصف، وقدّم مراراً، بنفسه، المعلبات والذخائر والأغذية والخبز الساخن للجيش السوري. وعند مغادرته، انتقل إلى تونس. وفي انعقاد المجلس الوطني في الجزائر (فبراير/شباط 1983)، حاول الأسد من خلال فصائل تابعة، توفير السبب القوي لشق منظمة التحرير الفلسطينية وإنهاء ياسر عرفات سياساً. تغالظت، أيامها، لهجة التخوين التي ما ظلت مستخدمة طويلاً. كان المؤتمر يناقش ما سمي "مشروع ريغان للسلام"، وتوافق الفلسطينيون على رفضه، على أن يتركوا لياسر عرفات هامشاً للمناورة، بلغة فضفاضة.**

**هنا، فهم النظام السوري أن هذه مقدمة شراكة بينه وبين الراحل الملك حسين والأردن، وظن أنه لن ينال ما يطمح إليه، إن تلازمت الأردن وفلسطين. وسرعان ما خرجت من أقبية المخابرات العسكرية السورية حركة تمردٍ، استقوت بالسلاح السوري وبالقطعات العسكرية السورية، ووقعت، قبلها، جريمة اغتيال جنرال الصمود في بيروت، سعد صايل، (27 /9 / 1982) لأنه ذو السطوة الكبيرة على الضباط المكلفين بالتمرد، والقادر على كبحهم. وقيلت، أيامها، مطولات تخوينية، وظن كثيرون أن "فتح" انتهت، وأن ياسر عرفات راح إلى الأبد. قُصفت المخيمات، وسُفك دم الفلسطينيين، ووضع المسلسل الذي شهد، بعد عامين، مأساة انقضاض حركة "أمل" الدامي على المخيمات الفلسطينية في بيروت، ذكّرت الشعب الفلسطيني بمأساة مخيم "تل الزعتر" التي انتهت فصولها (12 /8 /1976) في ذروة الحرب الأهلية اللبنانية وبدور الجيش الأسدي في ارتكاب المجازر وتصفية المخيم.**

**المهم، أدهش أبو عمار حافظ الأسد، بالانتقال وسط تلك المعمعة، إلى سورية نفسها، تحت عنوان وفاقي، لكي يضمد الجراح ويجمع المُضَلَّلين. وكان عرفات رتب علاقة مع رفعت الأسد، شقيق حافظ، الذي كان في ذروة قوته، فاتكأ عليها في زيارته تلك. المهم، بعد أن أعد أبو عمار موكبه للانتقال من دمشق إلى طرابلس، لكي يُهدئ الأوضاع، في أثناء الهجوم على المدينة، لم تقع عليه عين، لكي تعرف هل استقل السيارة، أم نزل تحت الأرض. كان ظاهر الأمر، أنه خرج مع الموكب. تحرك الجميع من دمشق، وفي وسطهم سيارة الزعيم الفلسطيني (23 /6/ 1983)، وفي الطريق كان الكمين في الانتظار، وربما هو نفسه الكمين الذي نفذ عملية اغتيال سعد صايل. انهالت قذائف الآربجي وزخات الرصاص على السيارة، ثم تبين أن عرفات لم يكن فيها. ظهر الرجل فجأة، عندما دخل إلى الصالة التي ينعقد فيها مؤتمر الأدباء العرب في دمشق، لكي يلقي خطاباً حماسياً مزدحماً بعباراته المتكررة، التي كلما أعادها بنبرته، بدت كأنها تُسمع للمرة الأولى!**

لم يتبق أمام الأسد، آنذاك، سوى الطرد الفصيح، لكي يتعامل مع ظاهرة عرفات عن بُعد. أُمرت طائرة الخطوط التونسية بأن تؤخر إقلاع رحلتها المنتظمة. كانوا، لحظتئذٍ، يضعون اللمسات الأخيرة لصيغة إبلاغه بأمر الطرد، وتحديد مستوى الذين سيكلفون بإبلاغ ياسر عرفات بالقرار، ومن ثم أخذه فوراً إلى المطار. ويروي الصحافي البريطاني، ألان هارت، المتخصص في "بانوراما الشرق الأوسط"، في كتابه "عرفات" أن القائد الوطني الكبير، جورج حبش "الحكيم"، كان في وداع أبي عمار في المطار، وعند الفراق، تعانق الرجلان، وهمس حبش في أذن عرفات: يا الله يا أبو عمار، إن كنت أنت بتطلع هيك من الشام، والله ما باعرف كيف أنا بدي اطلع.. يمكن في كفن!"

كان ذلك قبل أن يُلقي الحاوي بأعجوبته التالية: الظهور فجأة في قلب طرابلس، وفي يوم العيد، كأنما حركته كانت ضمن تقاليد المعايدة المعتادة بين المقيمين في المدينة. بدا رابط الجأش، وانطلقت التحليلات والتوقعات، فأكّد مؤرخ "الأسدية"، باتريك سيل، أن الرجل أدخل نفسه بنفسه إلى المصيدة: إسرائيل تحاصر من وراء، والنشامى من أمام. اختلفوا يومها على عدد الأيام التي تبقت لياسر عرفات من الدنيا. باتريك سيل لم يعطه غير ساعات، يتلقى الفلسطينيون بعدها النبأ الفاجع. أما الأسد نفسه فقدرها بثمانية أيام مقسمة إلى أربعتين، واحدة لمخيمات شعبه، وواحدة لياسر عرفات ومن معه!

أخطأت التوقعات، وأمضى الزعيم الفلسطيني والقائد أبو جهاد ثلاثة أشهر، في إدارة معركة الدفاع عن الثورة وعن المخيمات وعن القرار الفلسطيني وعن أهل طرابلس. وتكشفت، أيامها، الأمور، إذ بقي المنشقون الدُمى، والفصائل الدُمى، خارج دائرة الاتصالات، وانتهت الواقعة بخروج ياسر عرفات بحراً من طرابلس، يوم 19 /12 /1984 بموجب اتفاق!

لم ييأس ياسر عرفات من محاولة إقامة علاقات طبيعية، غير خضوعية، مع حافظ الأسد، إلا أن الأخير أعلنها خصومة مفتوحة، دونما حاجة إلى شرح أو إلى تبريرات. ومنذ واقعة طرابلس، بدأت واحدة من أبشع حملات التنكيل في التاريخ العربي كله، طالت منتسبي حركة فتح وكوادرها وفلسطينيين غير منتمين لها في سورية. وباعتبار سورية إقليماً شهد بدايات الارتكاز العلني لقوات الحركة، وكان القطر الذي امتزجت فيه فتح مبكراً بقاعدتها الاجتماعية، في مخيمات الفلسطينيين؛ فقد كان عدد المعتقلين كبيراً، وتعرض المسجونون للتعذيب الوحشي الذي ذاقت ويلاته كل ألوان المعارضة الوطنية السورية، من بعثيين سابقين ويساريين وشيوعيين وناصريين وإسلاميين.

## يحدث في لبنان

لم يكن ثمة قانون، ولا جمعيات حقوق إنسان، ولا مدونات إنترنت، لكي تكبح جماح هؤلاء الوحوش، أو تفضحهم. وسيكون في وسع باحثين في التاريخ الاجتماعي الفلسطيني أن يغترفوا من مئات الحكايات التي تعرضت لها الأسر الفلسطينية. ولا نبالغ حين نقول إن بعض المسجونين خرجوا أشباه آدميين على وشك الموت، وأفرج عنهم عمداً، لكي يكونوا عبرة لغيرهم. وبعضهم لم يعثر على زوجته وأطفاله، وخصوصاً أولئك من ذوي الأسر الصغيرة التي ليس لها امتدادات في المحيط الاجتماعي الذي هو المخيم، لأنهم جاؤوا أصلاً إلى غاية النضال، إذ تم تصريف وجهة الأسرة إلى مآلاتٍ أخرى، تقشعر لها الأبدان، وفي بعض الحالات، كانت الإناث من الأطفال، بعد أن تعرضن للفاقة ولضغوط حقيرة من جلاوزة النظام الفاجرين، وجدن أنفسهن في الطرق الحرام، لتحطيم رب الأسرة إن كُتبت له نجاة. وكان مجرد تلقي المخصص المالي من "فتح" تهمةً تذهب بصاحبها إلى السجن، لكي يُنسى فيه.

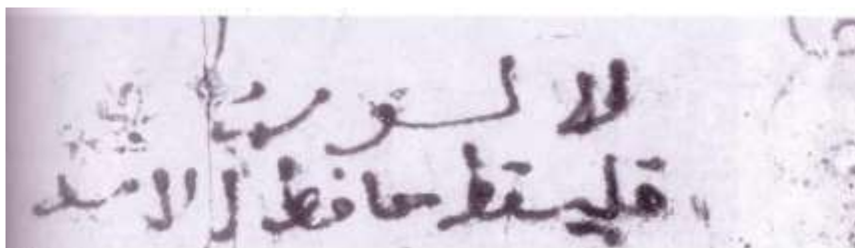
في الوقت نفسه، كان الحكم اللبناني، المتوافق مع النظام في دمشق، يضيّق الخناق على الفلسطينيين في مخيماتنا في لبنان، ويطبق بالحذافير منع الاشتغال في نحو ثمانين مهنة، ويطارد منتسبي الحركة الوطنية الفلسطينية. وفي الوقت نفسه، أيضاً، كانت المصالحات في أوجها مع عملاء ومجرمي حرب، وقتلة ومهربي مخدرات، من المليشيات المسيحية المتحالفة مع إسرائيل، كإيلي حبيقة ومن معه وضباطٍ ومشتغلين في السموم عديدين. فقد كان سهلاً على النظام السوري أن يستوعب "استقلالية" العميل، ويغفر للخائن خيانته، ويفتح أبواب دمشق بالترحاب لهؤلاء، وأن يتمسك في الوقت نفسه باستحالة التصالح مع ياسر عرفات، لسبب واحد، هو إصراره على استحواذ الفلسطينيين على قرارهم الوطني المستعاد، إذ عندما ضاعت فلسطين، كان خلو يد الفلسطيني من قراره الوطني أحد أسباب الكارثة. كان عرفات جاهزاً للانفتاح على أمته، وقادتها في نطاق المشورة!

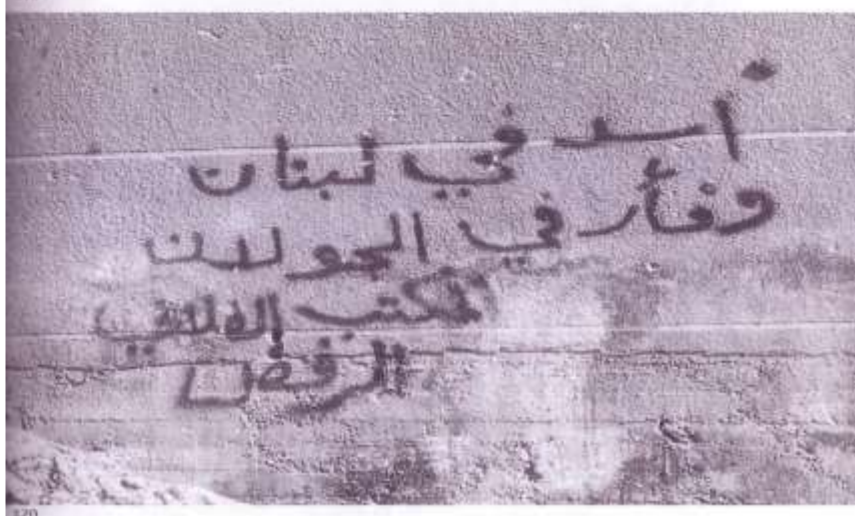
في يناير/كانون الثاني 1994، اغتنمها ياسر عرفات فرصة، لكي يلتقي بحافظ الأسد في مأتم نجله الأكبر باسل. لم يستطع عرفات أن يفتح ثغرة في موقف الأسد. بعد عامين، ذهب "أبو عمار" إلى القرداحة، لتعزية الأسد في وفاة والدته، وظل موقفه كما هو لم يتبدل، حتى عند مواجهة عرفات الأخيرة الشاملة مع الاحتلال، ثم تصدّيه لانقلاب إسرائيل على التسوية بإطلاق المقاومة. لم يتغير موقف الحكم في سورية. بالعكس، ازداد تحفزاً للهجوم على عرفات!

وفي تجربة المقاومة، لم يتغير الموقف الأسدي كون الرجل يقاوم. فما حدث أن الراحل عرفات، لم يكن هدفاً لمحاولات تصفية سياسية، مثلما كان، وهو محاصر في "المقاطعة"، وجاءت ذروة استهدافه بالتصفية السياسية، متلفزة وعلى رؤوس الأشهاد، لكي يصبح "غير ذي صلة"، عندما منعه الحاكمون في دمشق من إلقاء كلمته، في قمة بيروت، عبر تقنية "الفيديو كونفرانس."

استشهد أبو عمار و"زالت العقبة" التي تكفل المحتلون بتصفيتها جسدياً، بعد أن أسهم النظام الأسدي في إضعاف عرفات سياسياً، في أثناء الحصار، حتى بات نادراً أن يرن هاتف الرجل المحاصر. وبعد شهر من رحيل عرفات، استقبل الوريث بشار الأسد، الرئيس محمود عباس، في المكان نفسه الذي قوبل فيه "أبو عمار" بفتور، من بشار نفسه، عندما جاء يقدم له التعازي في مأتم أبيه. لم يتح للرئيس ياسر عرفات، في تلك المناسبة، أن يلتقي بشار على انفراد، شأن الرؤساء المعزين. لكن بشار استقبل الرئيس أبو مازن ببشاشة، ربما ظناً منه أن القادة الفلسطينيين ينقلبون على أنفسهم، فتحاكم الصفحة الجديدة من سجل أسمائهم، الصفحة التي سبقتها وتُدينها. إن هذا ما كنا وما زلنا أحرص على دحضه. ولهذه الغاية، لا ينبغي أن يُمتدح النظام الأسدي!

# مجازر الجيش العربي السوري وميليشياته ضد الفلسطينيين في لبنان






في  حصار ومذبحة تل الزعتر.. الاهالي طلبوا فتوى شرعية لأكل ابنـائهم الشهداء!!

**كثيرة هي المحطات المؤلمة والمجازر البشعة التي عاشتها فصول اللجوء والترحال الفلسطيني.وهذه المأسي لم تكن بيد الاحتلال مباشرة بل كان بعضها على يد "الاخوة الاعداء" حتى انه وبعد مجزرة تل الزعتر، حيث قال الشهيد صلاح خلف ابو اياد :" لم اكن ادرك يوما ان اكثر من نصف شهداء الثورة الفلسطينية سيسقطون بيد الانظمة العربية"، ففي مخيم تل الزعتر كانت "المليشيات" ترتكب افظع المجازر واكثرها بشاعة.**

**وبعد مرور 36 عاما على الواقعة نعود لاستذكار المذبحة والشهداء وفق الروايات والابحاث والدراسات المنشورة عنها.**

**اشترك مخيم تل الزعتر مع سائر المخيمات الفلسطينية في لبنان في السمات العامة فمن افتقار الشروط الدنيا للمعيشة الإنسانية اللائقة إلى توحش القمع السياسي، على أن السمة الأساسية التي ميزته كانت موقعه تحديدًا، فقد أنشئ المخيم في 1950 في المنطقة التي تسمى ضواحي بيروت الشرقية (وتحديدًا المنطقة الشرقية الشمالية)، وفي ذلك الوقت كان النشاط الزراعي مزدهرًا نسبيًا في تلك المنطقة التي اشتهرت بشكل خاص ببساتين الحمضيات والخضروات، وفي ذلك الوقت اشتغل قسم كبير من سكان المخيم، الذي لم يكن يتجاوز عدد سكانه بضع مئات، في الزراعة، وخاصة في المنطقة المحيطة بالمخيم (الدكوانة والمكلس) وبحلول عام 1968 تقلص النشاط الزراعي .وسارت المنطقة الشرقية الشمالية من بيروت أهم مناطق البنان الصناعية على الإطلاق حيث ضمت 29% من الرأسمال الصناعي اللبناني.**

**وكان طبيعيًا أن يقترن بالتطور الكبير للمنطقة المحيطة بالمخيم، تطور ديمغرافي هام داخل المخيم ذاته، حيث راح عدد السكان يرتفع من 400 نسمة في عام 1950 الى 3 آلاف نسمة في 1955، ثم حوالي 6600 في 1961/1960، الى13100 في 1971/1970، ثم حوالي 14200 في 1972/1971.**

**ولم يكن الجانب الأكبر من هذا النمو السكاني مرتبطًا بالتزايد الطبيعي في عدد السكان (الفارق بين المواليد والوفيات) وإنما ارتبط أساسًا بالانتقال السريع إلى المخيم من مخيمات المناطق الجنوبية والشمالية والشرقية من لبنان بفعل تحول المناطق الشرقية من بيروت بشكل عام، والمنطقة المحيطة بمخيم تل الزعتر بالذات، إلى مناطق جذب اقتصادي.**

**بدأت معركة تل الزعتر، أطول معارك الحرب الأهلية وأكثرها خسائر وضحايا فقد فرض "الكتائب" الحصار على مخيم اللاجئين منذ شهر كانون الثاني –يناير 1976 ثم شن في 22 حزيران هجوما واسع النطاق على تل الزعتر وعلى التجمعين المجاورين له، جسر الباشا والتبعة وبدأت القذائف والصواريخ تمطر هناك بلا انقطاع من الفجر إلى المغيب وعلى مدى 55 يوما متتالية تقدر عدد القذائف التي سقطت على تل الزعتر والذي التجأ إليه 20 ألف فلسطيني و 15 ألف لبناني بحوالي 55000 قذيفة.**

**ويروي صلاح خلف ابو اياد في كتابه "فلسطيني بلا هوية" ان البداية كانت من عند بضع مئات من أفراد ميليشيا كميل شمعون التي عاد الكتائبيون بعد خمسة أيام فانضموا إليها بعد تردد – بمحاصرة المخيم بعد دخول الجيش السوري إلى لبنان بعشرة أيام وببديهة الحال، فإنهم انتظروا مبادرة دمشق ليقوموا بهذه المذبحة، ودليلي على ذلك هو رد فعل اليمين المسيحي على عرض التسوية الذي قدمته المقاومة مع كمال جنبلاط أليهم في 25 أيار أي**

قبل تدخل الجيش السوري بأسبوع، وكان هدف الصيغة المقترحة هو بالضبط منع تدخل دمشق العسكري فقد عرضنا الانسحاب من كافة المناطق التي فتح في الجبل على أن نتركها تحت إشراف قوات تكفي لشن هجوم مضاد ولتحطيم الحصار، لكن الجيش السوري كان مع الكتائبيين وسلم هذا الاقتراح الذي حررت صيغته بيدي في رسالة إلى بيير الجميل بواسطة معاوني أبو حسن سلامة، إلا أن رئيس الكتائب لم يرد على رسالتي غذ كان ينتظر خشبة الخلاص الدمشقية وفرصة تحقيق انتصارات عسكرية.

واضاف في كتابه.... الحقيقة هي أن تل الزعتر كان مشروع إبادة بالأسلوب الفاشي الصرف وقد كان بيير الجميل وكميل شمعون يعرفان أننا لا نملك أية وسيلة فعالة لتحرير مخيم اللاجئين المطوق مع التجمعين المجاورين له والمطوقين تطويقا كاملا بواسطة حزام مسيحي يسيطر عليه الانفصاليون، وكان لدينا في المطلق قوات تكفي لشن هجوم مضاد ولتحطيم الحصار لكن الجيش السوري كان لا يزال رغم اتفاق وقف إطلاق النار الذي عقدتاه معه قبل ذلك ببضعة أيام يشل حركتنا في شمال لبنان وفي جنوبه معا بحيث أن سحب المقاومة لقواتها من المراكز التي تحتلها في مواجهة القوات السورية كان سيشكل كارثة، غير أننا أسهمنا في الدفاع عن المخيم بقصف محاصريه وبمحاولة تدمير مدافعهم المبعثرة في المدينة، وعلى التلال المجاورة حيث كنا نتمكن من تحديد مواقعها بفضل المعلومات اللوجستيكية التي كان المسئولون العسكريون في تل الزعتر يزودونا بها بواسطة الراديو وبفضل هذا الحزام الناري الذي أنشأتاه لم يتمكن المحاصرون من اقتحام المخيم. غير أن المخيم كان مهددا من الداخل بأكثر مما كان مهددا من الخارج ذلك أن الحصار الذي دام أكثر من خمسة أشهر أفضى بالأهالي إلى عتبة المجاعة بل أن ما كان أكثر قسوة وفظاعة هو نقص الماء وشحه، فبعد أن نجحت الميليشيات في تفجير شبكات المياه لم يبق أمام أهالي تل الزعتر سوى بئر ملوثة شحيحة المياه وكان البئر معرضا لسيل من القذائف المنهمرة على المخيم فكان لا بد من إرسال حملات بالمعنى الحقيقي للكلمة، للبحث عن الماء وكانت كل محاولة من هذه المحاولات تذهب بحياة شخصين أو ثلاثة بحيث أن الناس في تل الزعتر اعتادوا على أن يقولوا أن كأس ماء تساوي فعلا كأسا من الدم. وقد نال ذلك كثيرا من صغار الأطفال وبطبيعة الحال فإنه لم يكن في الوارد تزويد الرضع بالحليب كما أن كمية الخبز والماء الموزعة على العائلات كانت أقل من أن تكفي صغار السن، حتى أننا كنا نسمع عندما نتحدث إلى مسئولي المخيم بالراديو أنين وعويل الأطفال وعويل الصارخين " أنا عطشان يا أمي " وعلى هذا فقد مات بخلاف البالغين حوالي ثلاثمائة طفل ورضيع جوعا وعطشا أبان فترة الحصار.

ولم نكن ندرك خطورة الوضع في بداية المعركة إلى أن اتصل بنا ذات يوم طبيبان من أطباء المخيم لطلب النجدة وكان يصران على الحديث مع مسئولين سياسيين من المقاومة وليس مع مسئولين عسكريين وأحسست بغيظهما وتيجانهما عندما قالا بلهجة جافة " فإذا كنتم لا تستطيعون التوصل لوضع حد لهذه المجزرة فجدوا على الأقل وسيلة لتموينا بالماء والغذاء."

واضاف في كتابه... وما لبثنا أن كونا مجموعات صغيرة تتألف كل واحدة منها من قبضة من الرجال وذلك لمحاولة التسلل وراء خطوط العدو والوصول إلى تل الزعتر فكان على هذه المجموعات وهي تلتف على المحاصرين أن تزحف لليالي بأكملها على الهضاب المجاورة للتل وعبر الحقول والغابات وكان يستحيل على أفرادها أن ينقلوا الماء كما أن أسلحتهم وذخائرهم لم تكن تتيح لهم أن يحملوا كميات هامة من الأغذية وكثير منهم استشهد في الطرق وأما الآخرون فلم يكونوا يقدموا للمحاصرين أكثر من تسكين مؤقت كما أنهم لاضطرارهم إلى البقاء في المخيم كانوا يزيدون عدد الأفواه المحتاج للغذاء وفي اليوم الخامس من القتال جاءني الأب يواكيم مبارك – وهو كاهن ماروني مفعم بالمشاعر الإنسانية ومعاد فوق ذلك للتدخل العسكري السوري، ليقدم لي اقتراحا بوقف حد للمعارك ويقتضي الاقتراح بأن يستسلم فدائيو تل الزعتر بأسلحتهم إلى ممثلين عن الصليب الأحمر الدولي ينتظرونهم عند أبواب المخيم وبعد ذلك يتم إخلاء الأهالي ضمن أفضل الشروط الممكنة،

**فرفضت اقتراحه على الفور لأنه بدا لي غير لائق بمقاتلين في مثل بسالة مقاتلينا، وتقدمت باقتراح مضاد يقضي بإخلاء الجرحى والنساء والأطفال – أو على الأقل الأطفال بدون أمهاتهم – بينما يظل الرجال جميعا يواصلون المقاومة في داخل المخيم فرفض ثم تلقينا عدة عروض أخرى بعضها أذل من بعض إذ كان القوم يسعون إلى جعلنا نستسلم استسلاما شائنا مخجلا.**

**ويضيف خلف في كتابه... لا ريب في أننا كنا سنقبل موقفا أكثر مرونة فيما لو أن المسئولين السياسيين والعسكريين في تل الزعتر، أو فيما لو أن المحاصرين فيه عامة أبدوا مثل هذه الرغبة لكنهم على العكس من ذلك كانوا أكثر تصلبا منا وكانوا يقولون لنا أن تل الزعتر بعد فلسطين هو وطننا بالتبني وأنهم لن يغادروه إلا محمولون على الألواح، وعندما تفاقم الوضع وفقد فيه كل أمل ذهب أبو محسن – الرئيس السياسي للمخيم – إلى ولده مصحوبا بكافة أفراد العائلة يتضرع إليه رفع العلم الأبيض، فكان أن استشاط محسن غضبا، وطرد أباه باحتقار ثم أبى أن يكلمه إلى أن انتهت المعركة.**

**وقد دق احتلال مخيم جسر الباشا الفلسطيني في 29 حزيران ثم احتلال حي النبعة اللبناني المسلم بعد ذلك في 6 آب ناقوس تل الزعتر، فتم عقد اتفاق بواسطة ممثل الجامعة العربية في 11 آب حول أشكال الإخلاء التي ستطبق من الغداة وكانت الشروط مشرفة نسبيا حيث أن المحاربين سيغادرون المخيم مع المدنيين في آن معا، دون أن يستسلموا للميليشيات المارونية بل تتكفل بهم قوة السلام العربية والصليب الأحمر الذين يزودانهم بوسائل النقل اللازمة. غير أن أعدائنا دفعوا غدرهم الوحشي إلى غايته وذلك عندما فتحت ميليشيات كميل شمعون وبيير الجميل النار على جميع سكان تل الزعتر وهم يغادرون المخيم عزلا من السلاح وفقا للاتفاق المعهود، حاصدين بضع مئات من الأشخاص بينما انقض آخرون على داخل المخيم وراحوا يطلقون النار على كل من يصادفون، وفي الوقت نفسه راح سواهم يوقفون الناقلات التي تراكم فيها الناجون على الحواجز المنصوبة على الطرقات وينتزعون من داخلها بعضا منهم، وخاصة حديثي السن الذين يشتبهون في كونهم فدائيين ثم يقتلونهم بوحشية أو يقتادونهم إلى جهات مجهولة وهكذا فإن "ميليشيات اليمين المسيحي" اغتالت في يوم واحد عددا من الأشخاص يزيد على عدد ما قتلوه خلال الاثنين والخمسين يوما من حصار تل الزعتر وبالإجمال فإن عمليتهم هذه أوقعت حوالي 3000 ضحية في حين أن الألف فدائي الذين كانوا بالمخيم لم يستشهد منهم سوى عشرة فقط، وسلم الباقون بعد أن أفلحوا في الفرار عبر الغابات والهضاب المجاورة مستفيدين من الفجور الدموي الذي ساد في ذلك اليوم المقدور يوم 12 آب أغسطس.**

**ولا يخالطنا الشك في أن المدافعين عن تل الزعتر أضافوا صفحة مجيدة إلى تاريخ الشعب الفلسطيني، وستظل بطولاتهم وبطولة سكان المخيم أسطورة حية تلهم شعبنا أبدا على مدى الأجيال القادمة. لكن جلجلة تل الزعتر أفادت في أنها أظهرت مرة أخرى، أنه ليس في وسعنا الاعتماد على أحد غير أنفسنا فقد أدار العالم المتحضر عينية بخفر واحتشام عن المجزرة، غير أن الفضيحة الحقيقية وقعت في موضع آخر، عنيت العالم العربي الذي لم ترفع دولة صديقة ولا عدوة أصبعها لتنقذ خمسة وثلاثين ألف " أخ " من أبناء تل الزعتر وليس في وسع أحد أن يقنعني أن مئة مليون عربي يعجزون عن كسر حصار فرضه بضع مئات من الأشخاص، أو عن أن يرفعوا صوتهم ليمارسوا به الضغوط، إن لم يكن على الميليشيات فعلى سوريا التي تحميهم على الأقل."**

**وبذلك الوقت لم تكن القوات السورية هي وحدها في لبنان بل قوات الردع العربية التي دخلت في 21 يونيو حزيران 1976 بعد قرار جامعة الدول العربية إرسالها لوقف الاقتتال الدائر هناك وقوات الردع العربية تكونت من قوات ستة دول عربية أقرتها جامعة الدول العربية هي:**

**سوريا،و لبنان،و السعودية،و السودان،و اليمن و الإمارات.الجيش السوري كان في بيروت الغربية على خطوط التماس بين الشرقية و الغربية وتل الزعتر كان جيب معزول في عمق المنطقة المسيحية و ما كانوا ليسمحوا بوجوده.**

**وكانت قد اندلعت الحرب الأهلية في لبنان عام 1975، بين المقاومة الفلسطينية مع القوات الوطنية اللبنانية من جهة، وقوات الكتائب اللبنانية المارونية وحلفائهم من جهة. كانت الغلبة للفلسطينيين ومسلمي لبنان الذي أحرزوا انتصاراتٍ كبيرة، وسيطروا على لبنان، أو كادوا، لولا تدخل الجيش السوري.**

**أدخل حافظ الأسد قواته إلى لبنان في 1976/6/5م، وقوامها 30 ألف جندي، كي يسحق المقاومة الفلسطينية وليعيد السلطة إلى يد الموارنة.**

**لم تمضِ إلا ساعات على دخول الجيش السوري إلى لبنان حتى أعلن رئيس وزراء اسرائيل إسحاق رابين عن ارتياحه العميق لخطوة النظام السوري، وقال : "إن (إسرائيل) لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان ، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخلنا عندئذ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين ، فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحقة بالنسبة لنا."**

**وكذلك، رحبت روسيا وفرنسا بالتدخل السوري في لبنان، ورحب العرب بصمتهم. وكانت نتيجة الحرب معارك طاحنة أودت بحياة أكثر من خمسين ألف قتيل حتى تموز عام 1976.**

**وبلغت التنسيق قمته بين وزير الجيش الإسرائيلي شمعون بيزيز وقوات الكتائب المارونية اللبنانية، ويقال إن ياسر عرفات صرح: "أن شارون العرب، وكان يقصد حافظ الأسد"، قد حاصرنا من البر، وشارون اليهود قد حاصرنا من البحر.**

**القوات المارونية اللبنانية كانت تتألف من: حزب الكتائب بزعامة بيير الجميل، وميليشيا النمور التابعة لحزب الوطنيين الأحرار بزعامة كميل شمعون، وميليشيا جيش تحرير زغرتا بزعامة طوني فرنجيه، وميليشيا حراس الأرز. دام حصار المخيم مدة 52-55 يوماً تعرض خلالها لقصف عنيف (55000 قذيفة)، وقد جاع أهل المخيم من النساء والأطفال حتى أكلوا القطط والكلاب! عصى بعض ضباط الجيش السوري الأوامر، وامتنعوا عن قصف المخيم وحصاره فكان جزاءهم الإعدام الميداني . سقط مخيم تل الزعتر في 14-8-1976، بعد أن كان قلعةً حصينة أنهكها الحصار. فدخلته الكتائب اللبنانية، تحت غطاء حليفها الجيش السوري. وارتكبت فيه أفظع الجرائم من هتكٍ للأعراض، وبقرٍ لبطون الحوامل، وذبحٍ للأطفال والنساء والشيوخ! وكذلك ارتكبوا المجازر والجرائم، من اغتصابٍ وهدم البيوت وإبادة الأطفال وسلب الأموال، في مخيمي "جسر الباشا" و "الكارنتينا" اللذين سقطا بيد الكتائب قبل تل الزعتر.**

**لقد طلب الفلسطينيون في تل الزعتر من علماء المسلمين فتوى تبيحُ أكلَ جثثِ الشهداء كي لا يموتوا جوعاً!**

**وفي ذلك كتب احد الشعراء:**

**..“والآن تكفِّنُهُ عيني .. فدعوني آكلُ من إبني .. كي أنقذَ عمري .. ماذا آكل من أبني ؟!! من أين سأبدأ ؟!**

**لن أقربَ أبداً من عينيه .. عيناهُ الحدُ الفاصل .. بين زمانٍ يعرفني .. وزمانٍ آخر ينكرني..**

**لن أقرُبَ أبداً من قدميه .. قدماهُ نهايةُ ترحالي .. في وطنٍ عشتُ أطاردُهُ .. وزمانٍ عاشَ يطاردني..**

**ماذا آكلُ من أبني ؟! يا زمنَ العار .. تبيعُ الأرض، تبيعُ العرض .. وتسجدُ جهراً للدولار..**

**لن آكل شيئاً من أبني يا زمنَ العار .. سأظلُّ أقاومُ هذا العفن .. لآخرَ نبضٍ في عمري .. سأموتُ الآن .. لينبُتَ مليون وليد.. وسطَ الأكفان على قبري .. وسأرسم في كل صباح .. وطناً مذبوحاً في صدري” ..**

**وعندما سقط المخيم أخيرًا في 12 آب وتمكنت الميليشيات اليمينية من دخوله كان عدد القتلى من جراء القصف اليومي على مدى 52 يومًا قد تجاوز الألف. إلا أن دخول القوات اليمينية للمخيم كان بداية لحمام دم جديد أشد قسوة من كل ما سبق. فقد راحت الميليشيات تنظم كمائن جبانة للسكان العزل حيث تدعوهم بالميكروفونات للخروج من المخابئ بدعوى إجلائهم ثم تطلق النار عليهم.**

**وراحت المليشيات المختلفة تتنافس على ذبح أكبر عدد من الفلسطينيين بطرق لا تخطر ببال. تعرضت عائلات بأكملها للذبح. ورفضت الميليشيات بإصرار السماح بإجلاء أي رجل إلى بيروت الغربية، وكان تعريفهم للرجل هو “الذكر الذي يتراوح عمره بين عشرة أعوام وخمسين عامًا! وتعرضت أعداد غفيرة من النساء للاغتصاب قبل ذبحهن، بينهن فتيات كثيرات يقل عمرهن عن عشرة سنوات. بل إن الخسة بلغت بالقوات التي اقتحمت المخيم، تحت أشراف الضباط السوريين، أنهم قاموا بصف 60 من ممرضي المخيم في صفين وأطلقوا عليهم الرصاص في واحدة من أسوأ المذابح.**

******************

**حرب المخيمات هو الاسم الذي أطلق على المعارك التي دارت بين مايو 1985 ويوليو 1988 بين (قوات حركة أمل والجيش السوري والجيش اللبناني وبعض الفصائل الفلسطينية المدعومة من قبل سوريا) ضد(قوات فتح**

**الموالية لياسر عرفات ومقاتلين حركة المرابطون), حول مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت. اندرجت الحرب في إطار صراع سوريا وحليفتها أمل ضد نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات في لبنان. أدت المعارك إلى خروج قوات ياسر عرفات إلى مخيمات الجنوب, وإلى إحداث دمار كبير وتدهور الأحوال المعيشية لسكان المخيمات والجنوب اللبناني. أدت هزيمة حركة المرابطون المتحالفة مع ياسر عرفات إلى سقوط جميع المناطق المحاذية لمخيمات اللاجئين في بيروت في يد قوات حركة أمل المدعومة من سوريا، كان اللواء السادس الذي انشق عن الجيش اللبناني إبَّان انتفاضة السادس من شباط/فبراير 1984م قد التحق بأمل وساهم في حصار المخيمات، بينما رفضت الأحزاب اليسارية المشاركة فيها. وكانت هذه المعركة لها الاثر الكبير في كبح جموح السلاح الفلسطيني داخل لبنان، وانكفأت المقاومة الفلسطينية داخل المخيمات. افرزت هذه الحرب كغيرها من معارك لبنان عن تباين في الرؤيا بين حليفي دمشق (نبيه بري ووليد جنبلاط) حيث لم يوافق الثاني ومعه حليفه زعيم الحزب الشيوعي اللبناني (جورج حاوي) ان يشاركا في الحرب ضد المخيمات واعتبراه تكملة لمخطط إسرائيلي ضد الفلسطنيين بل وسمح جنبلاط لبعض الفصائل الفلسطينية باستخدام سفوح جبال الشوف لقصف بعض مواقع حركة (أمل) كما افرزت الحرب وحدة الفصائل الفلسطينية حيث حارب مناصرو ومعارضو ياسر عرفات سويا ضد حركة أمل مما سبب للأخيرة مأزقا حيث ان معارضو عرفات من الفلسطينيين شديدو الصلة بدمشق وبنبيه بري في مقابلة مع قناة الجزيرة الفضائية – برنامج (زيارة خاصة) مع (سامي كليب) اعتبر الحرب بما معناه خطأ في خطأ!!**

# المقادمة: لن ينجح النظام في سياسة الحصار والتجويع في المخيم

**يعاني الشعبان السوري والفلسطيني من مأساة واحدة تتمثل بمواجهتهما أعتى قوتين إجراميتين في العالم، لا أحد يشعر بمأساة الشعب السوري سوى شعب فلسطين وخاصة أهالي غزة، بعد أن لمسوا سياسة الحصار والتجويع والقتل التي فرضها الاحتلال على سكان القطاع.**

**أوضاع عدد من المدن السورية لا يختلف وضعها عن وضع غزة، ولا مبالغة عندما يقول البعض أن الاحتلال الإسرائيلي أرحم من النظام السوري.**

**أورينت نت التقى مدير مركز رؤيا للدراسات والإعلام نائل المقادمة "ابن مدينة غزة" والذي وهب نفسه لمساعدة الشعب السوري بعد أن شاهد إجرام النظام تجاه هذا الشعب منذ بداية اندلاع الثورة.**

**وفضل المقادمة قبل البدء باللقاء أن يسرد ما فعله النظام في الماضي بحق الفلسطينيين في لبنان، يقول المقادمة: "قبل الحديث عن الحاضر علينا أن نستذكر الماضي القريب والذي لازال يعيش في ذاكرتنا المؤلمة، كيف ساهم الأسد الأب في قتل الفلسطينيين في لبنان ولمحة عن بعض جرائم النظام السوري ضد الفلسطينيين في تل الزعتر عام 1976."**

**ويضيف: "لما بدأت الحرب الأهلية في لبنان في 13-4 -1975م واستطاعت القوات الفلسطينية بالتعاون مع القوات الوطنية اللبنانية دحر الكتائبيين وحلفائهم من الموارنة، وألحقوا بهم شر هزيمة، وأطبقت القوات الفلسطينية وجيش لبنان العربي على معظم لبنان، دخلت القوات السورية وقوامها 30 ألف جندي لبنان في 5-6-1976م وخاضت معارك طاحنة مع القوات المشتركة، واقتحم البعث السوري لبنان؛ لكي يبقي على امتيازات الماروني التي حرمت مسلمي لبنان من حقوقهم المشروعة في قمة السلطة، وفي مناصب الجيش والتمثيل النيابي وغير ذلك، اقتحم البعث السوري لبنان لكي يضرب الوجود الفلسطيني، ويؤدي المهمة التي عجز عنها فرنجيه والجميّل وشمعون وإسرائيل."**

**ويردف: "وبعد تدخل النظام السوري بساعات، أعلن رئيس وزراء العدو الصهيوني إسحاق رابين عن ارتياحه العميق لخطوة النظام السوري، وقال: إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع البعث السوري من التوغل في لبنان، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخلنا عندئذ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين، ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين، فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحقة بالنسبة لنا، والعالم رأى النظام السوري وهو يضرب مسلمي لبنان والمقاومة الفلسطينية، وخاضت قوات نظام حافظ الأسد معارك طاحنة مع القوات المشتركة حتى بلغ عدد القتلى منذ بدء الحرب حتى يوليو 1976م آلاف القتلى والجرحى والمعتقلين، وكان هناك تنسيق بين قوات الكتائب وحلفائها وبين الجيش النصيري والقوات الصهيونية وقد صرح الشهيد أبو عمار بأن "شارون العرب أي حافظ الأسد قد حاصرنا من البر، وشارون اليهود قد حاصرنا من البحر" بدأ حصار**

القوات المارونية لتل الزعتر في أواخر حزيران، وسقط المخيم في 14-8-1976م بعد حصار دام أكثر من شهر ونصف هذا التاريخ لا ينسى وسيبقى بالأذهان وستبقى ارواح الشهداء تطارد الاسد وأعوانه إلى يوم الدين."

**-1 *بدأت مأساة الفلسطينيين في سورية منذ بداية الأحداث بعد اتهام صحيفة "الوطن" كل من سكان مخيمي درعا في الجنوب والرمل في اللاذقية بالضلوع وراء الأحداث التي جرت في المحافظتين. برأيك هل كان ينوي النظام جر الأخوة الفلسطينيين وإقحامهم في الصراع؟ وكيف نظرت لروايات النظام آنذاك؟**

**بداية، إن أول شهيد فلسطيني سقط في سوريا خلال هذه الأحداث هو وسام الغول، واستشهد أثناء محاولته إسعاف جرحى في قصف تعرضت له مناطق قريبة من مخيم درعا، بتاريخ 23-3-2011 أي بعد ثمانية أيام من اندلاع "الشرارة الأولى للثورة". وهنا لابد أن نشير إلى عدة عوامل مهمة أدت إلى تفاعل اللاجئين الفلسطينيين مع إخوانهم السوريين في ثورتهم العدالة أولاً الظلم والاستبداد الواقع من قبل النظام السوري على شعبه والجرائم التي كانت ترتكب ضده قبل الثورة وخلالها، ثانياً وهو العامل الجغرافي للوجود الفلسطيني في سوريا وانسجامهم مع نسيج الشعب السوري والعلاقة الخاصة والمميزة بين الشعبين الفلسطيني والسوري تنعكس اليوم في وقوفهم مع إخوانهم في محنتهم، ولابد أن نؤكد أنه مع بداية الثورة كان الدور الفلسطيني مقتصر على الإغاثة والمساعدة لإعانة إخوانهم على محنتهم ولكن النظام السوري مثله مثل أي نظام ديكتاتوري بدأ بإلصاق تهمة الحراك المدني السلمي ضد النظام بالعدو الخارجي والفلسطيني، وكان ذلك عنوان مناسب لإلصاق التهمة بهم ومخاطبة الرأي العام بمثل هذه التهم، وفي المراحل اللاحقة حاول النظام إدخال كل الأقليات في دائرة الحرب في سوريا لإطالة عمر الأزمة وخلط الأوراق وكسب بعض نقاط القوة وضرب مكونات المجتمع السوري ببعضه البعض. إجمالاً كل روايات النظام حول كل ما يجري في سوريا هي منافية للواقع والحقيقة.**

**-2 *بعد دخول مخيم اليرموك على خط الأحداث بقوة من خلال خروجهم بمظاهرات سلمية منتصف أيار 2012، هل يعتبر هذا التاريخ نقطة الفصل في تعامل النظام مع الأخوة الفلسطينيين؟**

**أعتقد بأن النظام أخذ موقف مسبق من الفلسطينيين في سوريا لأنه متأكد من أنهم سوف ينحازون إلى جانب الثورة والشعب والحرية، وحاول إرسال عدة رسائل من خلال قصف المخيم بالهاون في أكثر من مرة للتحذير من مغبة الدخول في الثورة، وما كان خروج الفلسطينيون إلا ردة فعل طبيعية على وحشية النظام السوري في عموم سوريا، وما كان استهداف مسجد عبد القادر الحسيني في المخيم و"الذي كان ملجأ للنازحين من المناطق القريبة" لهو خير دليل على أن النظام يريد زج المخيم في حالة الصراع المسلح.**

**-3 *ما سبب مشاركة الأخوة الفلسطينيين إلى جانب أخوتهم السوريين في المظاهرات والحراك السلمي ضد النظام "على المستوى الشعبي" وليس "الرسمي"؟**

**أولا هناك أمر مهم والجميع يدركه لأنه واقع، وهو أن الثورة السورية ليست ما بين نظام وشعبه، الثورة السورية هي ما بين شعب أعزل بدأ بمظاهراته السلمية من أجل الكرامة للحصول على حقوقه المشروعة، تحالفت عليه أنظمة وليس نظام الأسد فقط، والثمن الذي دفعه شعبنا السوري من تضحيات لا توصف لأنهم ضحوا بأرواحهم وأموالهم لأجل مستقبل أبنائهم، ولا زال متسلح بإرادته وصبره وثقته بالله عز وجل على أنه**

سينال حقوقه وسيحاسب كل من تآمر عليه، والثورة السورية هي قضية أمة ستنتهي المشروع الإيراني الطائفي بالمنطقة، والفلسطينيون في سوريا لديهم وحدة مصير مع إخوانهم السوريين، عانوا كما عانى الشعب السوري من ويلات النظام ومن القهر والحرمان والقتل والظلم، وشاركوا بالثورة انطلاقا من أنهم لم يعد يرضون بالذل، مثلهم مثل باقي المناطق في سورية، بالإضافة إلى قناعة عموم الجمهور الفلسطيني بأن النظام السوري حجر عثرة في وجه تحرير فلسطين بشكل أو بأخر من خلال الدور المشبوه الذي مارسه طوال عقود من الزمن.

4- *رفضت حماس الدخول إلى جانب النظام في حربه على الشعب واتخذت موقف الحياد، ومن ثم اتخاذها قرار التأييد الكامل لحقوق الشعب السوري بالحرية والكرامة، هل كان ذلك السبب الأساسي وراء استهداف الفلسطينيين في سورية من قبل النظام؟

**استهداف الفلسطينيين في سورية كان قبل دخول حماس بشكل علني إلى دائرة الأحداث، والاستهداف تم في اللحظة الأولى لخروج أول مظاهرة طيارة داخل المخيم، ومن لحظة فتح أول منزل لاستقبال الأخوة النازحين من المناطق المحيطة للمخيم وبالمخيمات الفلسطينية الأخرى، وموقف حماس هو موقف مساند للشعب السوري وثورته من أجل نيل حقوقه لأن حماس هي حركة مقاومة شعبية تستمد قوتها من سند الشعوب لها.

5- *ما سبب اتخاذ أحمد جبريل موقفاً مؤيداً للنظام السوري؟ وما سبب انشقاق عناصره في المخيم وانضمامهم للجيش الحر؟

**أحمد جبريل وتنظيم القيادة العامة هو بالأصل تنظيم ملحق بالمخابرات السورية، وليس له أي قرار مستقل بعيداً عن دائرة المخابرات، والدور الذي مارسه هو إتمام ما كان مطلوب منه تأديته، والانشقاق الذي تم داخل المخيم من قبل عناصر اللجان له سبب رئيسي أن كوارد اللجان ليست من كوادر التنظيم وإنما من شباب مخيم اليرموك المستقلين ووافقوا على الانخراط باللجان بناء على الدور المعلن له وهو حياد المخيمات ولكن بعد فترة تبين بأن للجان دور مشبوه مرتبط بإجهاض الحراك الثوري بالمنطقة الجنوبية ومرتب من قبل المخابرات السورية والجوية والحرس الجمهوري والفرقة الرابعة على وجه التحديد.

6- *الشبكة الأوربية للدفاع عن حقوق الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين **UFree Network** أصدرت تقريراً يظهر انتهاكات فظيعة بحق المعتقلين الفلسطينيين في سورية وخاصة خلال الأحداث، ما تعليقكم وهل لديكم معلومات بهذا الخصوص؟

**نحن نؤكد التقارير الواردة من الجهات العاملة في الحقل الإنساني حول هول ما يتعرض له المعتقل الفلسطيني داخل سجون النظام، ونحن نؤكد أنه يوجد الآن أكثر من مئات المعتقلين الفلسطينيين لديهم ولا توجد أي معلومات عن حقيقة وضعهم الصحي والنفسي، ويذكر أنه بالآونة الأخيرة شهدنا ارتفاع في عدد الشهداء تحت التعذيب لديهم، حيث بلغ عدد الشهداء الذين سقطوا تحت التعذيب لبداية شهر نوفمبر 2013 (103) شهيداً ولم يتم استلام جثتهم، فقط يتم إبلاغ أهلهم بأن ابنهم قد توفى أو يقوموا بتسليمهم بعد أغراض بإشارة إلى وفاته.

**-7 *بعد حصار مخيم اليرموك وعدد من المناطق التي يقطنها فلسطينيون، ما الرسالة التي تودون توجيهها للنظام السوري؟**

**لا نعتقد أن هذا النظام المجرم يهتم أو يستجيب إلى أي رسالة قد توجه إليه، وقد خبرنا في تل الزعتر وفي حرب المخيمات ولكن ما يسعنا التأكيد عليه أن سياسة التجويع التي يمارسها ضد عموم المناطق الثائرة في سوريا لن تجدي مع المخيمات ومع مخيم اليرموك على وجه التحديد لأن مخيم اليرموك هو مخزن الفدائيين على مدار تاريخ المقاومة الفلسطينية، والشعب الفلسطيني تحمل ويلات النكبة على مدار 64 عام وهو قادر على الوقوف في وجه المخرز الاسدي، ويبقى جنب إلى جنب مع الأخوة السوريين في وحدة المصير والدم، حتى نيل حقوقه واسترداد سيادته ولكن الرسالة إلى كل المتخاذلين المتآمرين على الثورة أن التاريخ لن يرحمهم والدماء التي تنزف ستبقى لعنه تطاردهم.**

**- 8 *هل توافق على رواية من يقولون أن وضع مناطق جنوب دمشق والغوطتين الشرقية والغربية وحمص القديمة أسوء بكثير من وضع سكان غزة؟**

**نعم الوضع أسوء، والسبب أن سكان غزة أصبح لديهم خبرة وتجربة بالتعامل مع الحصار، الإسرائيليون لا يدخلون المواد والنظام لا يدخل المواد، والأفضل أن تعتمد الكتائب المسلحة على نفسها في شق الطرق وتأمين الطعام وكسر الحصار كي يوفروا مقومات الصمود لشعبنا في المناطق المحاصرة.**

**-9 *هل أنتم قلقون على مستقبل الأخوة الفلسطينيين في سورية، بعد صدور قرارات باستثنائهم من البعثات العلمية والمسابقات الحكومية التي تجريها مؤسسات النظام؟**

**نحن نؤمن بسقوط النظام في سورية، لذلك لا يعنينا كثير كل ما يصدر منه بخصوصنا، ما نخشاه هو موقف المعارضة من الفلسطينيين، إلى الآن لم تصدر المعارضة أي بيان حقيقي بخصوص ما يجري بحق الفلسطينيين في سورية، وهذا يشعرنا بالقلق من مستقبلنا في سوريا حتى حجم الدعم المقدم إلى مخيم اليرموك يكاد لا يذكر مقارنة بباقي المناطق المنكوبة والأقل سكانياً من سكان المخيم الموجودين الآن تحت الحصار.**

**- 10 *هل ترون أن هناك تقصيراً من قبل قوى المعارضة بعدم إدلائهم بأية تصريحات فيما يخص الأخوة الفلسطينيين؟**

**لا نقول تقصير لأنه بالأساس لم يصدر شيء بخصوصنا، وهذا يشعرنا بالخوف على مستقبلنا، ولكن نحن على ثقة بأن سوريا كانت ولا تزال بشعبها هي الحاضن لشعبنا الفلسطيني وقضيته العادلة، وندرك أن الوقت الحالي يحمل أعباء ثقيلة على المعارضة والتحديات كثيرة لذا فعلينا أن نركز على إزالة النظام وأزلامه فقط.**

**- 11 *وهل هناك أي جهات فلسطينية تجري اتصالات مع النظام لوقف حصار مخيم اليرموك والمناطق التي ترزح تحت الحصار والمهددين بالموت جوعاً؟**

****منظمة التحرير والمؤسسات الإغاثية العاملة في مخيم اليرموك، وجماعة أحمد جبريل هم العائق المتبقي لفك الحصار الجائر على أبناء شعبنا.**

**- 12 *هل ترى أن النظام السوري يعمل لصالح القضية الفلسطينية أم ضدها؟**

****النظام السوري يحمل لصالح بقائه حتى ولو على جماجم الأطفال، وأكذوبة الممانعة اكتشفت للعالم أجمع.**

**- 13 *وكيف تنظر لمستقبل سورية؟**

****رغم كل الظروف الصعبة والقاسية ولكن أنا على يقين بإذن الله أن الشعب السوري يضحي لأجل مستقبل أبناءه ليعيشوا بحرية وكرامة، ولبناء سوريا المستقبل القوية برجالها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وصناعياً، لأن شعب يمتلك هكذا إرادة وإصرار ويقدم الغالي والنفيس من أجل كرامته من السهل عليه أن يبني سوريا المستقبل، ولو نظرت في عيون أطفال سوريا وهم في أصعب الظروف ترى الأمل والمستقبل المشرق، ونسأل الله عز وجل أن يوفق لسوريا قائداً ربانياً مقدام ينقاد للحق ويقودها ويوحد الصفوف للحفاظ على وحدة سوريا على كامل التراب السوري وتبقى سوريا واحدة موحدة بشعبها وأرضها.**

# النظام السوري والقضية الفلسطينية.. سنوات المتاجرة في ساعات البيع

عامر شهدا – عنب بلدي

»عندما كنت في بيروت أخرجني شارون.. وها هنا شارون يخرجني مرة أخرى من دمشق»، هذا ما قاله الرئيس الفلسطيني الراحل «ياسر عرفات» عام 1983 في تعقيبه على قرار الرئيس السوري آنذاك «حافظ الأسد» بطرده من دمشق، مضى عرفات قبل أن يرى نكبة شعبه الجديدة في سوريا، لكن هذه المرة على يد الأسد الابن.

احتكر نظام الأسد (الأب والابن) القضية الفلسطينية سياسيًا وعسكريًا وعقائديًا على مدى 40 عامًا، لاستخدام هذه الورقة في حسابات الداخل وبازارات الخارج ولتحقيق التوازنات التفاوضية والابتزازات الإقليمية، ليضمن بذلك بقاء نفوذه في المنطقة، عبر احتواء الفصائل الفلسطينية الفاعلة بالقوة و «الغدر» تارة، وبالنفوذ والسلطة تارة أخرى، مستندًا إلى ذلك على وجود كتلة بشرية كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين المنتشرين في سوريا، والذين بلغ عددهم حوالي 600 ألف شخص قبل بدء الثورة السورية عام 2011.

زج القضية الفلسطينية في أتون الصراع السوري..

بدأت مبكرًا عملية إدخال الفلسطينيين في «المطحنة السورية»، من خلال اتهامات مستشارة رئيس النظام «بثينة شعبان» للفلسطينيين بالوقوف وراء المظاهرات الأولى التي شهدتها الثورة في مهدها بدرعا، لينطلق بذلك قطار المعاناة والتخوين من قبل طرفي الصراع في سوريا من درعا مرورًا بالرمل الجنوبي في اللاذقية وصولًا إلى محطته الكارثية في مخيم «اليرموك.«

»رامي مخلوف» ابن خال «بشار الأسد» كان أكثر وضوحًا وصراحةً؛ عندما أعلن أن أمن واستقرار إسرائيل من أمن واستقرار النظام السوري، ليترجم ذلك بعد أيام عبر دفع مخابرات النظام والفصائل الفلسطينية الموالية له مئات الشباب إلى الحدود ودخولهم الأراضي الفلسطينية المحتلة في ذكرى النكبة والنكسة عبر نقطة «مجدل شمس» في الجولان المحتل، الأمر الذي أدى إلى استشهاد وجرح العشرات برصاص قوات الاحتلال الإسرائيلي.

الرسالة وصلت إلى صناع القرار في «تل أبيب» من أجل ممارسة الضغوط على الإدارة الأمريكية بهدف عدم التشدد مع النظام على المدى الطويل من عمر الأزمة في سوريا، معروف قابله «الأسد» بإعلانه الاعتراف بدولة فلسطين تقام على خطوط الرابع من حزيران لعام 1967 وعاصمتها «القدس الشرقية» فقط، وتحويل مكتب «منظمة التحرير الفلسطينية» بدمشق إلى سفارة.

**اليرموك.. الجرح الفلسطيني المستمر**

**ينقسم الفلسطينيون في سوريا بين «فلسطينيي 48» من حملة هوية «الإقامة المؤقتة» أو «فلسطينيين سوريين» ينحدر غالبيتهم من مدن صفد وحيفا ويافا والقدس لجئوا إلى سوريا بعد النكبة، و»فلسطينيي 67» ينحدر غالبيتهم من الضفة الغربية وقطاع غزة لا يحملون أي إثبات وطني سوى «قيد» من منظمة التحرير، التي أصبحت سفارة بعد قرار الأسد آنف الذكر.**

**تحتضن دمشق وريفها غالبية الفلسطينيين في سوريا بنسبة تقارب الـ 70%، وينتشر الباقون في تسعة مخيمات تتوزع بين درعا وحمص وحماة وحلب واللاذقية.**

**يعتبر مخيم «اليرموك» أو كما يعرف بـ «عاصمة الشتات الفلسطيني» رافعة المخيمات في سوريا بشريًا ورمزيًا ووجدانيًا وحتى سياسيًا وفصائليًا، حيث يضم المخيم الكائن في جنوب العاصمة دمشق أكثر من 150 ألف فلسطيني في مطلع العام 2011، قبل أن تعبث بتركيبته «دوامة الصراع» السوري–السوري والتصرفات «الميليشيوية» لفصائله، ليهبط العدد الآن إلى قرابة 20 ألفًا، حيث يعيش المخيم اليوم في ظل حصارٍ كامل منذ سنتين تقريبًا من قبل قوات النظام ومجموعات فلسطينية موالية أبرزها: «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة، و «حركة فتح الانتفاضة»، وسط انقطاع المواد الغذائية والأدوية، التي تسبَّبت بعدد كبير من الوفيات قاربت 160 ضحية.**

**يقول «أبو علي الخليلي» (اسم مستعار) القيادي المنشق من «حركة فتح الانتفاضة» لعنب بلدي إن الحركة رفضت في البدايةَ طلب الأسد بالانخراط في الصراع السوري، الذي وصفه بالشأن الداخلي للبلد المضيف، لكن النظام هدد باجتثاث الحركة وتهجير أهالي كوادرها وملاحقة قادتها، في حين عرض أحمد جبريل الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خدمات فصيله العسكرية واللوجستية للأسد كونه أقرب الشخصيات الفلسطينية من الأسد الأب ويحمل الجنسية السورية.**

**على عينك يا نظام..**

**في ظل التضييق والملاحقات الأمنية الممنهجة على الحواجز العسكرية والدوائر العامة، إلى جانب ضغوطات بالانخراط عسكريًا ضد الشعب السوري ومن ثم الحصار والتجويع، كل ذلك دفع الفلسطينيين إلى البحث عن وطن جديد ولو عبر مراكب بدائية في البحر المتوسط.**

**يلفت «الخليلي» إلى خروج يومي لبولمانات كبيرة من منطقة العدوي بدمشق محملة بعشرات الفلسطينيين أمام نظر النظام وأفرع مخابراته، متجاوزةً الحواجز المنتشرة على طول الطريق بين دمشق وإدلب أو حلب دون أي**

إعاقة أو مساءلة؛ كما هي الحال مع السوريين المسافرين على ذات الطريق؛ في رسالة واضحة المعالم «هاجروا من هنا بصمت.«

**الشراكة في إسقاط حق العودة..**

يجزم «الخليلي» بوجود اتفاق ضمني بين النظام السوري وبعض الدول الغربية كمندوبة عن «الصهيونية العالمية» بالمساهمة في تهجير الفلسطينيين السوريين وإعادة توطينهم في «وطن بديل»، مقابل عدم الضغط على نظام الأسد سياسيًا على خلفية الجرائم التي يرتكبها في قمعه للشعب السوري.

وفي الدليل، يلفت الخليلي إلى أن الدول الأوروبية التي تستقبل اللاجئين الفلسطينيين تحت بند «بلا وطن»، ومن أبرز شروط قبول الإقامة والجنسية لاحقًا، التوقيع على تعهد أو وثيقة تنص حرفيًا على «عدم العودة يومًا إلى فلسطين»، بل إن أي إشارة في المقابلة بإمكانية زيارة أرض أجداده قد تكون كفيلة في ترحيله.

**مثلث القهر..**

للفلسطينيين حملة الجنسية الأردنية في سوريا معاناة أخرى، غداة أحداث «شهر أيلول من عام 1970» والتي تعرف باسم «أيلول الأسود» التي أدت إلى إنهاء الوجود الفلسطيني المّسلح في الأردن، نزح آلاف الفلسطينيين من حملة الجنسية الأردنية إلى سوريا، لتزيد «لعنة الجنسية» معاناة إضافية خلال التعاطي مع الفلسطينيين في الثورة السورية، إذ يؤكد «الخليلي» اعتقال أجهزة الأمن التابعة للنظام، العشرات منهم على الحواجز العسكرية والحدود ومراكز الهجرة والجوازات بتهمة أنه أردني قادم للقتال إلى جانب المعارضة في سوريا.

كذلك لفت القيادي السابق في «حركة فتح الانتفاضة» إلى وجود حالات اعتقال واختفاء حتى على خلفية جنائية، حيث يتم حجز المعتقلين في المقرات الأمنية وبالتحديد في أرهب وأخطر الفروع «فلسطين» أو في مبنى الهجرة والجوازات، ولا يسمح له الخروج إلا إلى الطائرة، بعد طلب من عدد من الدول استضافتهم وعلى رأسهم الأردن، فيما لا تأتي الموافقة سوى من «السودان أو ماليزيا أو البرازيل.«

وفي سياق معاناة «فلسطينيي الأردن» في سوريا أشار إلى ترحيل السلطات الأردنية عددًا من العائلات بعيد وصولهم بطريقة غير شرعية إلى الأردن، ولاسيما من «مخيم الزعتري» شمال البلاد.

يشار أن مجموعة «العمل من أجل فلسطينيي سوريا» وثقت مقتل أكثر من 2600 فلسطيني جراء الصراع الدائر في البلاد؛ منذ بداية الثورة السورية منتصف الشهر الثالث عام 2011، بينما قضى قرابة 50 شخصًا منهم خارج سوريا؛ أثناء محاولتهم الوصول إلى أوروبا عبر البحر، في حين وثّقت مقتل أكثر من 200 لاجئ فلسطيني تحت التعذيب في سجون النظام، بينما يبقى مصير المئات من المعتقلين الفلسطينيين مجهولًا إلى اليوم.

# المصادر

**https://awtanpost.com/post/8573/%d9%8a%d8%a7%d8%b3%d8%b1-%d8%b9%d8%b1%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%88%d8%ad%d8%a7%d9%81%d8%b8-/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d8%b3%d8%af**

**https://www.alaraby.co.uk/opinion/2014/6/30/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%88%D9%86-%D9%88%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%AF-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%88%D9%84%D9%83%D9%8A-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AC%D9%8A%D8%A7%D9%84**

**http://www.nawaret.com/%D8%B2%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1/%D9%85%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%86%D9%82%D9%88%D9%84%D8%A9/%D9%85%D8%AC%D8%A7%D8%B2%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%88%D9%85%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%B4%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%87**

**http://orient-news.net/ar/news_show/6209/0/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%AF%D9%85%D8%A9-%D9%84%D9%86-%D9%8A%D9%86%D8%AC%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B5%D8%A7%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D9%88%D9%8A%D8%B9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AE%D9%8A%D9%85**

**http://www.enabbaladi.net/archives/23798**